رواية

أطفال الشوارع

تأليف :

محمد عبدالله عبدالله

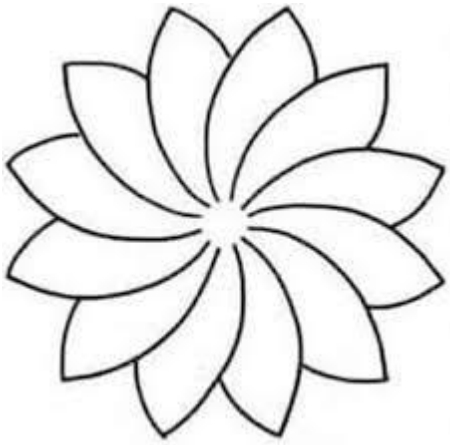

دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع

حقوق الطباعة و النشر و التوزيع	دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع
العنوان	المنصورة – كلية الدراسات الإسلامية القاهرة – حلمية الزيتون Dar.elmona@gmail.com 00201006101006 – 00201155956285 – 00201142129140
رئيس مجلس الادارة مدير الدار	منى عبد اللطيف أحمد مصطفى
تصميم الغلاف	أحمد حسن
اسم الكتاب	أطفال الشوارع
اسم المؤلف	محمد عبدالله عبدالله
نوع الكتاب	رواية
الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف	محمد عبدالله عبدالله
رقم الإيداع المحلي	21452/2020
الترقيم الدولى	978-977-6853-08-9

اهداء

إلي كل شخص يُؤمن

بقدرات الآخرين ويدعمهم...

إلـــي مُعلمنـــا الـــذي نُـــدين لـــه بجزيـــل الشـــكر علـــي جهـــده ومساهمته في إخراج هذا العمل إلي نور...

الأستاذ / فيصل قجة، والأستاذ / عبد العزيز عبد الله

إلي أخواننا وأصدقائنا ورفاقنا الذين أهملتهم الحياة...

وجعلـــتهم أمـــوات يعيشـــون علـــي الكبـــاري ويفترشـــون الأرض بحثاً عن لقمة العيش..

إلي أولاد الشوارع في كل مكان وكل نطاق العالم...

تقبلوا مني هديتي لكم

محمد عبد الله عبد الله

قست عليهم الحياة نتيجة الظروف الاقتصادية و الاجتماعية الصعبة..
هربوا إلي الشوارع .. ناموا تحت الكباري .. يلتحفون السماء غطاءً ..
ويمتدون علي الأرصفة .. لم يتوقعوا أن التشرد في انتظارهم بعدما
سقطوا في قبضة من لا يرحم.. تم استغلالهم في التسول والسرقة ..
والأبشع وقوعهم ضحايا لذئاب بشرية هتكوا أعراضهم ..

مقدمة

تعد رواية أطفال الشوارع من الروايات التي تهم المجتمع، والتي تعكس صورة المجتمع السوداني بصفة عامة، والمجتمع الدار فوري بصفة خاصة، وتُعبر عن الأمة، وأماله، وطموحاته، فهي ذات التأثير الواسع في الوقت الحاضر، لأنها الأكثر قراءة في العصر الحديث، وأخذت نصيباً وافراً من النقد والدروس. تناولت رواية أطفال الشوارع عُدة قضايا اجتماعية تُشغل المجتمع السوداني، منها تدني المستوي المعيشي للمجتمع، حيث يعيش نسبة كبيره من المجتمع السوداني دون كهرباء ودون ماء، وهذه القضية شائكة في المجتمع السوداني، حيث أن المرأة هي العمود الفقري للمنزل في المجتمع، فهي مسئولة عن شؤون المنزل الداخلية والخارجية، وعدم توفر الاحتياجات اللازمة للحياة تتضاعف عليها المسؤوليات، فهي تُعاني أكثر مما تُعانيه نساء المجتمعات الأخرى، لأنها تُعاني من الكثير من نقص الماء والكهرباء والطعام وانتشار المرض، وهذه من أبسط مقاومات سُبل الحياة. ومن بين المُعوقات التي تواجه المرأة هو جلب الماء للمنزل فهي المأمورة بجلب الماء، الذي من

الممكن أن يكون أقرب بئر أو الذهاب إلي الوادي علي بعد عده كيلومترات من المنزل. أيضاً تناولت هذه الرواية قضية التسرب المدرسي للطلاب والطالبات، وذلك بسبب عدم مجانية التعليم الأساس، وفي فترة من الفترات انتشرت الحروب في دارفور مما تسبب في انتشار الفقر، والجوع ، والجهل، وزيادة انتشار الأمراض، والتشريد، والنزوح، واللجوء، وزيادة أعداد أطفال الشوارع، وزيادة معدل الجريمة . وأيضاً تناولت الرواية تفشي مرض الملاريا، وذلك بسبب البيئة المحيطة من انتشار القمامة، وعدم تصريف المياه الراكضة بسبب هطول الأمطار، مما يؤدي إلي توالد البعوض، وينتقل المرض من خلال البعوض الذي يكثر بعد هطول الأمطار، خاصة في المناطق التي تركض عليها المياه، وعدم وجود المجاري لتصريف هذه المياه الراكضة. أيضاً تناولت الرواية قضية التكافل الاجتماعي في المجتمع، بالرغم من شدة الفقر والجوع فان التكافل الاجتماعي منتشر بين كل هذه الأوساط متكافلة مع بعضها البعض حتى في أهلك الظروف. وفي نهاية المطاف نود أن نشير إلي أن هذه الرواية لها أملٌ وطموحات وألام المجتمع، والرواية واقعية علي أرض الواقع، أنها تقرأ مُعطيات الواقع المُعايش، والتعرف علي مشكلاته، وفي مقدمة تلك المشكلات الفقر،

البطالـة، انتشـار الأمـراض، التسـرب المدرسـي، ومُعانـة المـرأة في داخـل وخارج المنزل، وغيرها من الموضوعات المهمة.

محمد عبد الله عبد الله

السودان – دارفور

الفصل الاول

"فجوة خُلقت بيننا لست أدري من وضع أول مُعرقل بالأساس، ولكنني ألعن المُدن التي بيننا... بالنهاية ستغادر في، وتستسلم للمسافة أم ستمسك بيدي وتخرجني من بينهم ...؟!

من تلك الليلة لم اعد اشتكي لبشر، ولا أبث لهم حزني، هناك جهة تؤوي كل ذلك، إنها السماء!

مرت الأيام ولم نعد أتحدث عن أبي بعد تلك الليلة، لان مجرد إثارة الحديث، يترك الحزن يجوس في الدار والأبدان، حتى تأتي العوارض وتزيح الحُزن وكثرة الأسئلة.

أبي مزارع الذي قُتل أثناء بداية 2002 لم نعرف عن موته أي تفاصيل؛ سواء تلك الرصاصة الذي استقرت في جمجمته، لنأخذه بعد ذلك من ثلاجة الموتى، لنحمله إلي البيت لنغسله، ثم لندفنه، وندفن كل معه كل التفاصيل، لم يتبق منه إلا قارورة جمعت فيه بقايا غُسله الأخير، وبضع كُتب. الكُتب موزعة في صناديق، وعلي رف يتيم، وفي محراب أمي التي تصلي فيه. في محرابها كتاب أصفر قديم، يُجاور مُصحفها، كست كعبة مؤخراً بقطعة قماش ثقيل حتى لا تتناثر أوراقه. أتصفحه علي حين غرة، لا أجد فيه إلا الصفوف، سطور صغيرة بعضها تحت بعض، لم يكن به تصور تدل

علـي محتـواه، كانـت أوراقـه تتكسـر في يـدي كـورق خريـف ضـربته الشمس دهراً، ووضعته في مكانه، ثم تراجعت...

كنـت في شـوق وتلـهف لمعرفـة سـر ذلـك الكتـاب الـذي جلبتـه أمـي لحرابهـا، أيـام قليلـة تلـك الـتي تفصـلني عـن التعلـيم، المدرسـة هـي المكان الوحيد الذي قد يجـود علـيّ بإعطـائي آلـة فـك طلاسـم الكتـب، أريد أن أدخل عالم التخاريف.

أمـي قبـل أن تُعلمنـا الحـروف، كانـت تقـرر أن المعرفـة الحقيقيـة هـي معرفة الله، لهذا علمتنا قبل الحروف فن الدعاء!

كنت أردد خلف أمي:

_ إلهـي أقـف هنـا كـأول حـرف في الأبجديـة ، أسـكب في قلـبي حب المعرفـة ورسـم الحـروف ، درُ علـي نقـاط فضـائلك العُظمـي ، أجعـل الـدنيا في عـيني صـفحة بيضـاء ، أجعـل أصـابعي أقلامـاً ملونـة ، ولسـاني يكسـب حـبراً أزرق ، أنـت مـلاذي الوحيـد ، ورُكْني الشديد.

آووه.. كم هو مزعجٌ هذا الطفل!

تلقنـه أمـه الحـروف، بـين يـدي أمـه، تعلمـه كـل يـوم حرفـاً، يحفظـه، يرسمـه، يمسـك قلـم الرصـاص بقـوة فينكسـر رأسـه، تضـحك الأم ثـم تبريه، هـي لا تـؤمن بتعقيـد الكتابـة، وحفـظ الحـروف مرتبـة، كـل يـوم

يأخذون حرفاً كيفما أتفق، وأعجبهم شكله، لا تأمره بالكتابة علي بطريقة معينة، كانت تحثه علي أن يحاكي الحروف بأي هيئة كانت، فكان ينقشه نقاشاً. يبدو أن والدته لم تجد دارهَم لتدخله الروضة، رغم تأخره سنه عن أقرانه، هي من قامت بدور المعلم الأول، عبثاً بالحروف، كُسرت مئات الأقلام، كتب علي أرضية الحوش بالفحم، الأرض كانت السبورة الأولي. ثم كانت الكتابة فوق الكتابة، أخذ الكتب القديمة من الجيران، الصيحات التي تصدر من الحنجرة رغبة بالتعليم. البيت الذي يصدح طفله ب "أبجد هوز حطي كلمني" يشكل مصدر إزعاج لي – أنا المزعج الأسود – وللجيران الذين تتكئ بيوتهم علي بيته. مربعات الـ (بربر) التي رسمتها الأم، ووضعت في كل مربع حرفاً، لقنت حروفه من أخمص طفل كثير القفزات.

أمه ، الحروف ، أقلام الرصاص المكسورة ، الكتب المتهرئة ، الصيحات، مربعات البربر ، عرق القفزات السريعة والمتقنة ، يلهث عن التعلم.

كل ذلك ربطه بالحروف، الأحرف التي يلتقي بها دوماً في الأماكن، وعلي وجوه الكتب المدرسية المستهلكة في أوراق الجرائد، في علب المربعات، في اللوحات الإعلانية، في الشعارات، علي واجهات

المنـــازل، في صـــناديق البضـــائع، في قصـــص الأطفـــال، لقـــد صـــارت الأبجديـة أغنيـة، وصـارت المدرسـة حلمـاً ! في الفصـل تسـلمتُ كتـاب القـراءة والكتابـة نظيفـاً جديـداً، لسـتُ عليـه بقايـا طفـل، سـطوره شـاغرة، تنتظـر قلـم الرصـاص الـذي معـي، لم يُـدون عليـه اسـم قبلـي، ولم يُدون عليـه اسـم بعـدي، كـل العـوالم الـتي بداخلـه بكُـرة بيضـاء، لم يُطمثها إنـس ولا جـان، لم تلوثهـا بقايـا الأطعمـة، لم أفـرح بشـيء قبلـه، ولم أفـرح بشـيء بعـده، هـا هـي الحـروف الـتي تـأتي في الأحـلام قريبـة، الكتـاب أستنشـقه بعمـق، ألعـق صـفحاته، أفـض بكارتـه بقلمـي الرصاص، وأدون عليه أسمي "أحمد".

طلـب المُـدرس أن يـنهض طالـب ليقـرأ الحـروف، لم يرفـع أي طالـب يده، رغم وجود أبناءهم عند فوهة الغرفة الصغيرة!

كان أحد الآبـاء يشـير لأحـد أبنـاءه أن يـنهض ويقـرأ الحـروف، لكنـه لم يفعـل، فرفعـت يـدي كصـارية، وأخـذت أصـدح بـالحروف منتشـياً بـلا أب، أصـدح بهـا أتـذكر أمـي وهـي تحـدق بـي عنـدما كانـت تعلمـني الحـروف. أتـذكرها عنـدما كانـت تـبري الأقـلام. عنـدما يتمعّـر وجههـا فجأة وتبكـي. ترسـم مربعـات البربـر في الحـوش. تسـجل علـي الـدفتر أسمي كـاملاً حتـى لا يصـبو عليـه أحـد ، فقـرأت لهـم الحـروف وعنـدما أكملـت القـراءة كـل مـن الأسـتاذ والآبـاء والطـلاب يصـفقون لـي

تصفيقاً حاراً لهذا الإنجاز العظيم والفضل يعود لأمي الحنونة . أجدادي ما زالوا يتذكرون الغمامة البيضاء التي أشرفت علي قربان قابيل، ثم اعترضت عنه ومالت إلي قربان أخيه هابيل، فاحتملته وصعدت به إلي السماء!

قال قابيل لأخيه: لا أدع لك أختي الحسناء، وما أنا أخذ بأختك القبيحة! بقي قابيل متحيراً كيف يقتل هابيل، فاتاه إبليس علي صورة بعض إخوانه، فأخذ حجرين من الأرض وضرب احدهما بالأخر، فأنفلق الحجر نصفين، وقابيل ينظر، فنهض من وقته وأتي إلي أخيه هابيل فوجده نائماً، فعمد قابيل إلي صخرة وألقاها علي رأس أخيه فقتله !

فبقي متحيراً كيف يصنع به ؟ فوضعه في جراب، فحمله علي ظهره، وطاف به الأرض، وكانت السباع والطيور تحوم حوله، حتى حضر احد آبائي الأول ليعلم البشر سنة دفن الموتى، فقتل أحد الأجداد غراباً مجرماً، فحفر حفرة ورمي فيها الغراب المقتول، ورد عليه التراب.

فقال قابيل :

يا ولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب!

هـا هـو المشـهد يتكـرر، وأنـا أحلـق في سمـاء "الشـوارع" أخ يطـارد شـقيقة في أزقـة الطريـق، يحمـل مسدسـاً في يـد، وفي اليـد الأخـرى سكيناً!

المطارد يصـرخ في الثلـث الأخـير مـن الليـل الأحمـر، يسـتجدي الأحيـاء في قبـورهم، لكـن لم يُبعـث بعـد مـن ينُجـده، يلـهث، يصـرخ، لكنـه لم يجـد يمـد لـه حـبلاً للحيـاة، والصـوت المرعـب، يـأمره أن يتوقـف، لكنـه لا يفعـل، يـركض، يلـهث في الأزقـة، ثـم تسـتقر رصاصـة في فخـذه اليـمني، يسـقط أمـام جُـدر، يحـاول أن يتثبـت بنافـذة الصـغيرة، لكـن الكـائن الـذي لا يعـرف الرحمـة يلجمـه بسـكينة، وهيهـات للمسـكين أن يجد عُرف الرحمة.

السـكين ترتفـع عاليـاً ثـم تغـرس في الجسـد، في جسـد أخيـه، يرفعهـا ثم يغرسـها، تسـتقر في الرقبـة، تنحشـر بـين عظامهـا، يجرهـا بقـوة، ثـم يغرسـها في وسـط وجهـه ! انقطـع الـنفس المسـتغيث، لُطـخ الفصـل الـتي تُعشـعش في باطنـه الرحمـة والـبراءة، وليلـوث ظـاهرة بالعـذاب والدماء والصراخ ! يا للهول!!!

عنـد النافـذة يتكـدس البشـر، ينظـرون إلـي شـيء مـا، وأنـا بقـامتي الصـغيرة تـرتحلني حقيبـة مليئـة بالكتـب، أتطـاول لأري مـاذا يـرون؟ لكن لم تشـف عـيني بشـيء ! مُدرسـنا يثرثـر بالجُمـل، وتكسـو وجهـه

تعاسة قاتمة، وفي الخارج وتحديداً عند نافذة فصلي، يزداد الحشود الغفيرة، فيزداد تمعّر وجه المعلم.

بعض الوجه الصغيرة مبهوتة، وهناك أعين صغيرة تبكي! انتهت الحصة .

أستاذنا التعس يأمرنا بالصمت المطبق، والويل كل الويل لمن يتفوه بكلمة واحدة ! ذلك اليوم الدراسي لم يتحدث فيه أحد إلي أحد، لم نخرج للفسحة، أتت الوجبات إلينا، كنا نأكل بصمت، والرعب غصة! كان هناك أمر جلل بلا شك . قرع الجرس، كانت قرعته الأخيرة لذلك اليوم، أمرونا أن نذهب فوراً إلي منازلنا . كانت سيارات الشرطة تملأ المكان، تحيط بنافذته فصلي الوحيدة !

في المساء كان الكل يتحدث عن جريمة قتل وقعت بجوار مدرستي، كان الخوف الأسود يهطل علي البيوت والأشجار، يبل ناصيتي رعباً له نفضه، كنت أرتجف بجوار أمي، وهي تحاول بإمدادي بدفئها، تضمني، وتقبلني، وتخبرني بأنها تصاحبني إلي المدرسة . المدرسة لم يكن لها حديث إلا الجريمة، الأطفال زاد بكائهم في الساحة، وهم يسمعون التفاصيل، أصبحت المدرسة ثكنة للحكواتية الذين يمارسون السرد بروايات متعددة.

إذا كانت هذه الجريمة هـزت كبـار أهـل الحـي، فكيـف بنـا نحـن الصـغار الذين لم تزل رائحة الحليب تعبق من أديمنا؟!

قال أحد الرواة :

إن الأخوة تنازعوا علي الميراث!

قال أخر :

أنهم كانوا في حالة سُكر، فتنازعوا!

وقال أحدهم بهمس :

لقد خانت المرأة زوجها مع أخيه!

كنـت أظـن أن المدرسـة غُـرف مـن الجنـة، فوقهـا غُـرف مبنيـة، كأحسـن مـا يكـون البنـاء، تحرسـها الملائكـة، وتغشـاها الرحمـة، فـإذا هـي مسـرح للجـرائم، ومسـلخ بشـري في المسـاء ، وفي الصـباح يكتنـف الطفولـة ! بقي الدم أياماً في ذات المكان حتى استحال إلي قشرة سوداء !

كانت أمي تقـنعني أن الـذي قـام بـذلك العمـل شـيطان مـارد ، لا يمـت للبشـر بصـلة، وأن الحيـاة لسـت كلـها للبشـر، بـل بشـر، وجـن، وملائكة وشياطين، خير وشر، نور وظلمة !

وأن الله خلـق هـذه الحيـاة، بهـذه الصـورة، ليجعـل ذلـك اختبـاراً لنـا وفتنة، حتى يعرف الخبيث من الطيب، والجميل من القبيح.

ثم قالت :

"عندما قتل قابيل هابيل تزلزلت الأرض لأول مرة، وكسفت الشمس لأول مرة، ونبت الشوك في الشجر، وتغير طعم الفواكه، وملح الماء، وقال أرباب النجوم: وظهر كوكب المذنب!!!

لما قتل قابيل أخاه هابيل في جبل قاسيون في مقاره الدم، فشربت الأرض الدم، فأوحي الله إلي قابيل أين أخوك؟ فقال: لا أدري.

فأوحي الله إليه أن صورة دم أخيك تنادي من الأرض بأنك قتلته، فقال هابيل : يا رب أين دمه؟

فمن يومئذ حرم الله علي الأرض أن تشرب الدماء!.

الفصل الثاني

مـر أسـبوعين ولم تتحصـل أمـي علـي النقـود الكافيـة حتـى تدفع الرسـوم لأولادهـا وتـوفر لهـم الـزى المدرسـي، لكـن ماما عائشـة في أصـعب الظـروف، لم تـتمكن مـن تلبيـة حاجـات أبنائهـا، بـالرغم مـن أن أحمـد ومريومـة لم تسـدد لهمـا الرسـوم الدراسـية، ولـيس لهـم الزى المدرسـي ومـا زالـوا مسـتمرين في الـذهاب إلـي المدرسـة فسـألهم المـدير عـدة مـرات مـن الرسـوم الدراسـية، ولم يتمكنـوا مـن الحصـول علـي الرسـوم، ولكـن في يـوم مـن الأيـام سمـح مُعلمـو المدارسـه للطـلاب والطالبـات بـالعودة إلـي منـازلهم في تمـام السـاعة العاشـرة صباحاً، حيث قال مدير المدرسة :

- " أي طالـب وطالبـة لم يـدفع الرسـوم الدراسـية، ولا يرتـدي الـزى المدرسـي فهـو غـير مُرحـب بـه، ولا أريـد أن أري وجـوهكم في هـذه المدرسـة دون الرسـوم الدراسـية والـزى المدرسي، وأخبروا أولياء أموركم بهذا القرار".

انطلق الطـلاب والطالبـات إلـي منـازلهم حـزين وكئيـبين ومُـؤلمين مـن قـرار مـدير المدرسـة، حيـث تفـاجئ كـل مـن مريومـة وأحمـد، وكانـت مريومة طالبـة في الصـف الرابـع، وأحمـد طالـب في الصـف الثالـث بمـا

قالـه مـدير المدرسـة، حيـث لم تسـدد والـدتهما الرسـوم الدراسـية لأبنائهـا، ولم تشـتري لهمـا الـزى المدرسـي، ووالـدهما متـوفى، ولكـن لم ينـزعج كـل مـن مريومـة وأحمـد بسـبب طـردهم مـن المدرسـة في هـذا الوقت الحـرج، فالسـعادة تُعـزز في وجهمـا بـالعودة إلـي منـازلهم، حيـث كـانوا يجـرون ويتسـابقون ويلعبـون ويمرحـون ويضـحكون بكـل فـرح وسـرور . ثـم سـلك بعـد ذلـك مريومـة، وأحمـد، وحامـد، ومديحـه، وطلاب آخـرون سـلكوا الطريـق الرئيسـي الـذي يـؤدي إلـي المنـازل . في أحـدي المنـازل بـالقرب مـن سـوق الواقـع بـالقرب مـن المعسـكر، ظهر كلـبُ أحمـر اللـون ذو ذيـلٌ طويـل أحمـر، يتـدلى مـن لسـانه لعـاب السُـعر، كأنـه مُسـعر، يعـبر الطريـق الرئيسـي بـبطء، فجـأة فرملـت سـيارة مـن نـوع لأنـدركروز، فانحرفـت السـيارة مـن مسـارها قلـيلاً في حركة أنفيـه جـداً، ثـم نـبح الكلـب وقفـز مسـرعاً إلـي الجانـب الأخـر مـن الطريـق لكـي ينقـذ حياتـه، حيـث كـادت السـيارة أن تدهسـه، غضب السائق وأعـاد السـيارة إلـي الطريـق ثـم أنطلـق . عـبر الكلـب الأحمـر قنـاة مائيـة قـذرة وأسـتمر حتـى أقـترب مـن حـائط منـزل بائعـة الشاي، فوقف ورفـع رجلـه الـيمني لكـي يتبـول، ثـم أنحـي رقبتـه ورفـع أذنيه جيداً وكأنه يسـتمع لشـيء مـا، مـر بعـد ذلـك بمنـزل الجـزار حتـى وصـل إلـي السـوق رأي الكلـب عظـمُ كـبيرٌ فـاقترب منهـا، وأنحـي

رأسه ليشمها بل أن يلتقطها بأسنانه، فجاءه تركها وتزمجر ونظر إلى يساره ثم عن يمينه، عاد للعظم مرةٌ أخري وحملها جانب الطريق الرئيسي ثم أستلقي علي الأرض ليأكلها . في الجانب الأخر من الطريق، ظهر طلاب المدرسة، يرتدي الفتية بنطلون أسوداً، وقميصاً أبيض، بينما يرتدي الفتيات تنوره بيضاء وبنطلون أسود، وبعد الطلاب لا يرتدون الزى المدرسي، بل يرتدون ملابسهم التقليدية الباهتة الشاحبة . يسير الطلاب في مجموعات صغيرة، وعندما اقتربوا من السوق، فجاءه ظهر لهم الكلب الأحمر، وهو يزمجر ويُكشر أسنانه، ركض الأطفال مُسرعين في خوف يصاحبهم الضحك، ثم طاردهم الكلب الأحمر.

جرى الأطفال وهم يتدافعون ويصرخون:

- " يا... يا ..يا ناس".

قفز الكلب الأحمر وأسنانه بارزه فخدش قدم مريومة وأحدث لها جُرحاً:

سقطت مريومة وسقط طفلين ثلاثة فوقها "ماما".....

فأختفي الكلب الأحمر ودخل في ممرات ضيقة كأنه أصيب بالجنون، وقفت مريومة ترتجف وتساقط الدموع من عينها. عاد أحمد مع بعض الأطفال والتفوا حول مريومة، ولم ينقطع الضحك.

- " كيف حدث هذا؟ هههههه!!! يا لهذا الكلب... فلنطمئن علي مريومة ! هل عضك الكلب؟ ".

أدارت مريومة قدمها فرأي الجميع جُرحاً صغيراً به قطرات من الدماء.

- " عذراً مريومة ".

عادوا يضحكون مرة أخري ويمزحون بعد ما اكتشفوا الجرح صغيرٌ جداً وبسيط. لم تضحك صديقتها مديحه، أشفقت عليها واقتربت منها تمسح الغبار من عليها:

- " عذراً صديقتي ".

أجابت مريومة:

- " شكراً ".

مسحت الدموع من خديها بيدها اليسري، ثم قالت مديحه:

- " فلنذهب ".

بدأ الأطفال في المغادرة في مجموعات بعد مجموعة، لم يُمر وقتُ طويلُ حتى نسي الجميع مُهاجمة الكلب الأحمر، واستمروا في اللعب بالأيادي وتبادل التهم بينهم في شكل مزح ومرح.

اليوم فقدت ماما عائشة مصدر رِزقُها من العمل (فراشة في السوق) وذلك بسبب إصابتها بحمي الملا ريا بالأمس، لكن في

المساء انخفض درجة حرارة جسمها، وعادت القوه لعضلاتها مرة أخري، علي الرغم من أنها ما زالت تشعر بطعم الحموضة في فمها، ورائحة الدواء في الأنف، وفقدان الشهية . أخذت ماما عائشة إناء ماء بارد، ودخلت دورة المياه، سكبت الماء علي جسدها وقالت:

- " الماء علاج الحمى ".

ثم عادت بعد ذلك إلي الغرفة، بالفعل شعرت أنها أفضل الآن، تذكرت دواءها من أعشاب العرديب، وضعت العرديب في كباية، ثم شربت وخرجت للخارج لتقف علي عتبة الباب، وأصبحت أفضل نوعاً ما بسبب العرديب التي شربتها، مسحت علي شفتيها من رواسب العرديب بلسانها، ثم بصقت علي الأرض . في أقصي الغرب، كانت شمس الساعة الواحدة ظهراً، وعلي بعد ثلاثة أو أربعة خطوات أمامها، كانت تنظر ماما عائشة إلي أواني الطهي والأكواب المتسخة التي تلمع في الخارج، التي يتجول ويُطير حولها الذباب والحشرات. تُحدث نفسها قائلة :

- " أين هؤلاء الأطفال مريومة وأحمد ".

تتمني أن يعود الأولاد من المدرسة لكي يساعدوها في أعمال المنزل بعد لحظات سمعت صوت جارتها أم كلثوم.

- " يا أم مريومة ".

أدارت ماما عائشة وجهها ورأت أم كلثوم تقف خارج منزلها . كانت أم كلثوم مُتزينة وترتدي تنوره حمراء، وبلوزة بيضاء وصندلاً، وشعرها مُسرح تسريحة "السودان قفل" فهي تعمل في قهوة نهاراً وليلاً، رفعت أم كلثوم صوتها قائلة:

- " ما أخبار الحُمى يا ماما عائشة؟ ".
- " نعم !!!
- أشعر بتحسن قليلاً، لقد أفادتني أعشاب العرديب يا ابنتي، أعتقد أنني أستطيع الذهاب للعمل غداً، لم أتحصل علي المال اليوم يا أم كلثوم ".

ابتسمت أم كلثوم:

- " لا بأس يا ماما عائشة!!! ، صحتك وحياتك أهم من المال ".
- " حقاً يا ابنتي ".

غادرت أم كلثوم متجهة لمكان القهوة، تحسست ماما عائشة بيدها اليسري وجهها وفركت عينها بأصبعيها تثاءبت طويلاً، أمالت ظهرها للأمام فأصدر صوتاً تك تك!! ، ثم بصقت علي الأرض مرة أخري!!!

ذهبت للداخل ثم خرجت وبيدها إناء به ماء وقطعة من الصابون وقطعة شوال (الليف)، ثم جلست وشرعت في غسل الأواني المنزلية، بعد مدة قصيرة سمعت ماما عائشة أصوات الأطفال، نظرت إلي الجانب الأخر من الحي فرأت أطفالها مريومة وأحمد ، وأطفال جارتها أم كلثوم يتسابقون في الجري واللعب بالأيدي . لكن توقفت مريومة فجاءه من اللعب عندما رأت والدتها بالخارج.

- " مرحب ماما – ماما مرحباً ".

أمضت ماما عائشة النظر في ابنتها مريومة وقالت:

- " ما هذه الملابس ".

مريومة:

- " ماذا بها ياماما ".

ردت ماما عائشة وبيدها إحدى الأواني المتسخة:

- " ماذا تعني؟
- لماذا ملابسك متسخة؟
- نحنا ما زلنا في بداية الأسبوع الدراسي؛ اليوم يوم الأربعاء ".

تدخل أحمد في الحوار ضاحكاً:

- " الكلب يا ماما: كلب أحمر كان يطاردنا مما جعل مريومة تسقط علي الأرض، وكاد الكلب ياماما أن يعضها ".

فأضفت مريومة:

- " جرحني جرحاً صغيراً بمخالبه، ثم أدارت قدمها لكي تري والدتها الجرح ".

ألقت ماما عائشة نظرة ورأت الجرح الصغير ودماء بسيطة أصبحت جافة الآن.

قالت ماما عائشة:

- " أليس أنتم من لعب وضايق الكلب؟".

رد أحمد:

- " أبدأً ياماما فقط، فبدأ بمطاردتنا ".
- " أذهبا وبدلا ملابس المدرسة، وعودا لتساعداني، هناك عمل كثير نُريد أن نُنهيها ".

ردت مريومة:

- " ياماما هذه ليست ملابس المدرسة ".

ماما عائشة غاضبة وقالت:

- " نعم أعرف ذلك ".

فأردفت مريومة قائلاً:

- " قال مدير المدرسة اليوم إن جميع الطلاب الذين لا يرتدون الزى المدرسي، ولم يدفعوا رسوم الدراسة ، لا أريد أن أري وجوهكم في هذه المدرسة مرة أخري ".

فأضاف أحمد قائلاً:

- " لذلك اجتهدي يا أمي لتجدي لنا المال لتشتري لنا الزى المدرسي ونعود للمدرسة مرة أخري".
- " ليس لدي المال فكيف أدفع لكم؟".

أعرضت ماما عائشة عنهما، وأقبلت علي أوانيها، وذهب الأطفال للداخل، ظهرت شمس المغيب باللون الذهبي المختلط بالحمرة، وشعرت ماما عائشة بالبرودة في جسدها، كما أنها حزنت بسبب ما حدث لأطفالها، فهي تفكر ماذا تفعل لكي تُعلم أطفالها، المال الذي تتحصل عليه من بيع الفول المدمس والطعمية في السوق أصبح لا يكفي مصروفات المنزل، فما بال مصروفات الدراسة والزى المدرس للأطفال! كما أن والدهما متوفى !

نادت ماما عائشة:

- " يا مريومة ".
- " نعم ياماما".
- " هيا لنوقد الحطب، لنطهو الطعام ".

- " حاضر ياماما".

أخـذت مريومـة الموقـد وملأتـه بـالفحم وأخرجـت الجـازولين مـن المصباح ووضعته في زجاجة.

ماما عائشة:

- " أنتي!!!
- ما هذا!!
- أعيدي هذا الجازولين،،،
- يا للعجب!
- هل تريدي أن تنامي في الظلام الدامس؟ ".

تزمجرت مريومه:

- " أه أه ياماما ".

ماما عائشة:

- " ماذا بك !!
- أشعلي ورقة
- أحضري أعود الثقاب من الغرفة ".

في السـاعة الثامنـة مسـاءً كانـت وجبـة العشـاء جـاهزة وكـان مـلاح الكـول والعصـيدة جلسـت ماما عائشـة وأطفالهـا تنـاولوا وجبـة العشـاء ثـم شـربوا المـاء، وشـكروا الله عـز وجـل علـي هـذه النعمـة

الـتي أنعمهـا الله لهـم ، وتركـوا جـزءا مـن الطعـام للـزوار او اذا جـاع احد من ابناءها.

بينما مريومة ترتب الأواني...

سأل أحمد والدته:

- " ما رأيك يا ماما؟".
- " في ماذا؟".
- " بشأن المدرسة يا ماما ".
- " لا أمتلك المال كما أخبرتكما ".
- " معني هذا أننا لن نذهب إلي المدرسة؟".

صمتت ماما عائشة قليلاً، ثم قالت:

- " تجـارتي تجعلـني مغلولـة اليـد يـا أبنـائي، الطعميـة والمـدمس سـعرهما رخـيص، والعـدس والفاصـوليا سـعرهما غـالي، والمكسـب ضـعيف (ضـئيل جـداً)، فلنتحمـل قلـيلاً وسـأجتهد كثيراً ".

نظـر أحمـد إلـي وجـه أمـه العـريض، الشـجاع صـاحب العيـنين الواسـعتين السـوداويتين، وشـعرها علـي شـكل ثلاثـة ضـفائر كبـار بينهما ممر بين كل ضفيرة، وتنتهي الضفائر بذيل في مؤخرة الرأس.

قال أحمد:

- " هل تعلمي يا ماما؟".

نظرت ماما إلي أبنها وسألته:

- " ماذا تقول؟".
- " سأبحث يا ماما عن وسيلة ".
- " وسيلة بشأن ماذا؟".
- " بشأن تجارتك!!! ".

استغربت ماما عائشة:

- " أووو!!! ماذا تقول؟ ".

وصاحت بصوت عالٍ:

- " يا مريومة ".
- " نعم!!! ".

كانت ترتب الأواني في المطبخ.

- " تعالي لكي تسمعي فكاهات أخوك أحمد ".

حضرت مريومة:

- " ماذا به؟ ".

قاطعهما أحمد:

- " أخبرت ماما أني سأبحث عن وسيله وحلول بشأن تجارتها!!! لكي يزداد الربح ".

ضحكت ماما عائشة وأبنتها مريومة.

- " تضحكن ! انتظروا وسوف تروني... لابد من الحصول علي المال، لحتي نعودوا إلي المدرسة في أسرع وقت ممكن ".

ردت ماما عائشة بسخرية:

- " لابد من الحصول إلي المال ! هل ستسرق؟ ".

أشاحت ماما عائشة بوجهها وتناست جنون أبنها، ثم قالت:

- " طالما لا يوجد مدرسة غداً، سوف نذهب معاً يا مريومة إلي السوق لكي تساعديني في العمل ".

أجابت مريومة:

- " حاضر يا ماما ".

تحاملت ماما عائشة علاج نفسها ، حتى وقفت، ثم بسطت ذراعيها، أصدر جسمها صوتاً مرة أخري ك ك ك!!!

- " هيا ياأبنائي لتناما ".

ثم دخلت إلي الحجرة، تستخدم صالة المنزل كحجرة للنوم أيضاً فرشت مريومة برش علي الأرض ونامت، وفرش أحمد أيضاً برش من الزعف، لكن لم ينم، أخذ رواية، وبدأ يقرأ في الضوء الخافض، لماذا اليوم الرواية ليست جذابة كما كانت؟

ضـرب أحمـد بعوضـة كانـت تمـص في دمـه، ولكـن بعـد مـرور خمـس دقائق وجد أن النـوم رفـض أن يـزوره، حيـث ظـل يفكـر، ولكـن فيمـا يفكـر؟ يفكـر في طـرده مـن المدرسـة ! وفي مصـاريف الدراسـة والـزى المدرسي !

كما أنه يفكر أيضاً في مـاذا يفعـل لتجـارة والدتـه لكـي تكـبر وتجلـب النفع:

" عنـدما أخبرتهمـا أنـني سـأبحث عـن وسـيلة وطريقـة مـا ! ماما ومريومـة ضـحكا علـي، دعـك منهـا ! سـأهذب غـداً إلـي السـوق ".

فنامت ماما عائشة، ونام صغارها.

مر أسبوع ولم يـذهب أحمـد ومريومـة إلـي المدرسـة ولـذلك لم تتحصـل ماما عائشـة علـي رسـوم المدرسـة ولا الـزى المدرسـي وفي الصـباح الباكر قبل أن يذهبوا إلي السوق مريومة قالت:

- " ماما أنا عايزة أشتغل في قهوة ".

ماما عائشة ردت بغضب:

- " لا؟

- يا أبنتي ".

فتدخل أحمد قائلا:

- " لو في العمل أنا نشتغل، وليس أنتي ".

فصمت مريومة وقالت:

- " البشري للناس الغلابة...

الباتوا بصمة خشم...

والبصبح باكر وملتوي.

في بالوا لقمة عيش عشم

بالموية وبالويكة ماشي الحال حكم

هي اللقمة كيفن تنبلع وكيفن تنهضهم

دة العمر وكل بحر العدم...

حتي الوليد الفات عمل....

لا شاف وريقة ولا قلم..

الروضة كانت والغنم...

المدرسة الغابة والطير عجم.

بين الدرع وشجر الكتر....

ودرب الجفاة ونعل السجم..

مريومة بيت الهم بحر...

في أيدها فأس طالعة الخلأ والكف خشن

والحنة ما كان يوم في الحلم

وأبونا أدم في القصر جنب البحر

غير الكرش ماليهو هم....

شعباً يفوت أو كان يموت ما ذات أهم

إلا الأهم أن يطلع قرار والرد نعم

إن قلنا لا أو قلنا ليه....

جنزير طويل وكمان سجن..

عندما سمع أحمد وماما عائشة:

" فتفجرت الدموع وانهمرت العيون من البكاء فحضنت ماما عائشة أولادها وتفجرت الأم وأولادها في البكاء بسبب الواقع الأليم والمرير ".

رد أحمد قائلاً:

- "أختي وأمي أنا راح أترك المدرسة وأتحمل المسؤولية!!!
- مسؤولية البيت ومسؤولية أختي حتى تتعلم ".

ماما عائشة:

- " لا؟
- لا يا ابني أنا أتحمل كل شيء".

أحمد:

- كيف تتحملي يا ماما!!!

لدينا أسبوع ولم نذهب إلي المدرسة...

ماما عائشة:

- كل شيء مكتوب ومسطر من ربنا الله سبحانه وتعالي ولذلك نصبر بما كتبوا لنا.

أحمد:

- " أنا ما بقدر بتحمل كفاية يا ماما خلينا نساعد مع بعضنا البعض لان كلما الايادي كثرت في العمل فالعمل يتضاعف وراح مصدر الدخل يزيد شيئاً فشيئاً ".

ماما عائشة:

- " كلامك صح يا أبني!! ". " لكن أنتم صغار يدأب في مرحلة الرعاية والاهتمام والعناية ولذلك أتركوا العمل كله علي ".

أحمد:

- لا!!! ، لا يا ماما كده ما راح يصير لانوا اليوم الوضع صعب جداً حتى توفير لليوم الأخر ما عندنا فكيف

نكـون هكـذا إذا مـا قـدر الله مـثلاً!! مرضـت... مـاذا نأكـل؟ ماذا نشرب؟ نذهب إلي الشارع نحشد؟

ماما عائشة:

- " لا!!! يـا ابـني ربنـا أعطانـا القـوه ولـذلك نشـتغل بقدرتنا الذي أعطنا الله سبحانه وتعالي ".

أحمد " حضن والدته قال لها :

- أنا بنحبكم كثيراً".

ماما عائشة ومريومة:

- " ونحنا كذالك بنحبك كثيراً ".

الفصل الثالث

رحمك الله يا والدي لو كنت هنا لما تشردت يومياً ... حتى لو نمت علي الشارع عارياً كنت ستكون البيت الذي يحميني ... لان أبناء وطني يا أبي... لا يرحمون ... لا يرحمون ..

مر أسبوعين مُنذ أن طردوا من المدرسة، ومع كل يوم في شروق الشمس تأخذ ماما عائشة ومريومة الأواني، والحطب والماء، متجهون إلي السوق لبيع الطعمية والفول المدمس، متجولون من وإلي من أجل مصدر رزقهم، ولا يعودا حتى المساء عندما يمتلكهم التعب، والإرهاق، والفتر، والمشقة، وتفوح منهما رائحة الدخان ، كما أن النقود التي يجمعانها من ذلك العمل تقضي حاجاتهم لمدة يوم واحد فقط...

لكن السؤال يبقي في ذهن أطفالها؟ أين الرسوم الدراسية؟ وأين الزى المدرسي؟ هذا الأمر الذي كان وما زال يشغل عقل أحمد ومريومة.

وصل به الأمر أن في بعض الأحيان لا ينام من كثرة التفكير في هذا الأمر أو بسبب الجوع.

في حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً، لم يكن أحد في المنزل إلا أحمد، كان يجلس أمام المنزل علي أحد الأسوار في جو مشمش مستغرقاً في التأمل والتفكير.

- " اليوم سأذهب إلي السوق ! سأحاول!!! ".

المشكلة التي يراها أحمد هي واحدة فقط ؟ والدته ماما عائشة؛

- " هل تقبل أمي بهذه الفكرة؟".

انعكس شعاع الشمس علي وجهة، فمال قليلاً وفي يده عصا صغيرة يحفر بها في الأرض وفجاه صوت يناديه:

- " يا أحمد ".

رد أحمد قائلاً:

- نعم !

حيث رأي أم كلثوم تقف خارج حجرتها.

فنهض أحمد ...

وذهب إلي أم كلثوم راكضاً إليها"

- " مرحباً يا ماما ...".

أم كلثوم:

- " مرحباً ! كيف حالك ؟".

أحمد:

- " أممم ! هز رأسه ".

نظرت أم كلثوم شفتيه جافتين، ووجهة شاحباً، وعينة ما زال بها الماص، ورأت جلد قدميه مشققاً وخشناً مثل جلد التمساح.

قالت أم كلثوم:

- " حتى وجهك لم تغسله ".

نظر أحمد لأسفل وأخذ يرسم خطوطاً علي الأرض بإصبعه الإبهام.

استدارت أم كلثوم:

- " تعال ياإبني!!!

- أغسل وجهك ".

وأخذته إلي الفضاء وجلبت له الماء ، غسل أحمد وجهة وعاد إلي الحجرة.

أم كلثوم:

- " أجلس ".

جلس أحمد علي الكرسي، وما زال الماء يسيل من وجهة، صبت أم كلثوم الشاي في كوب من البلاستيك.

- " هيا أشرب ".

لم يأخـذ أحمـد الشـاي، بـل جفـف يديـه في بنطلونـه أولاً، وعينـاه تتابعـان أم كلثـوم وهـي تعـد طبـق مـن الكنافـة، وضـعت أم كلثـوم الطبق علي المائدة:

- " كل ! ثم أذهب ألعب ".
- " شكراً ماما".

أخذ أحمد قطعة من الكنافة وتذوقها.

جمعت أم كلثوم ملابسة المتسخة قالت:

- " أنا سـأذهب للـوادي لكـي أغسـل لـك تلـك ملابسـك المتسخة ".

خرجت بعد أن فرغ أحمد من الأكل...

أخـذ كـوب الشـاي وطبـق الكنافـة وذهـب بهمـا إلـي الفضـاء لينظفهما،،،

سألته أم كلثوم:

- " هل شبعت؟ ".
- " نعم ! لقد شبعت
- شكراً جزيلاً لكي ياأماهـ".

نظـف أحمـد الأوانـي وأعادهـا بهـا إلـي الحجـرة، فجـأة سمـع شـعر في أحدي منزل من المنازل.

*****

ألم تر أن الفقر يُرجي له الغني

وأن الغني يخشي عليه من الفقر

فان نِلت بها بالذي نِلت من الغني

فان غناي في التحمل والصبر

ألم تر أن الفقر يُرجي له الغني

وأن الغني يخشي عليه من الفقر

*****

انجذبت أذنه وعقله إلي أخر مقطع من الشعر التي يتحدث عن الغني والفقر، غادر أحمد المنزل بهدوء، لكن الشاي والكنافة اللذين أعدتهما أم كلثوم له جعلاه يشعر بالسعادة، ونشط عقلة، ذهب أحمد إلي السوق الكبير، في محطة السفريات، التي يحيط بها جمع من الركاب، والتجار، والأطفال المشردين، والعُمال، واللصوص، والكبار، والصغار.

فجأة علي الجانب الأخر من الطريق رأي أحمد وتذكر الكلب الأحمر، تقدم خطوة للأمام نحو الكلب حتى يراه بدقة، ما زال لم يفهم طبيعة ذلك الكلب، ظن أحمد أنه ليس في حالته الطبيعية. فجأة دخل ذلك الكلب إلي ممر ضيق ثم غاب عن الأنظار.

نظـر أحمـد علـي الأرصـفة، وسـقوف الكبـاري كلـها أطفـال الشـوارع، حيـث يصـادفك هـؤلاء الأطفـال بملابسـهم الباليـة، وأوجههـم المكدومـة مـن الفقـر والجـوع يتسـولون أو يبيعـون أشـياء بسـيطة كمناديـل الـورق والـورنيش مـن أجـل سـد رمـق الجـوع. وكـل هـذه الصـبية لجـوء للعمـل في المهـن الهامشـية سـببه الفقـر والجـوع والنزاعـات الـتي تشـهدها عـدد مـن الأقـاليم ، هـؤلاء جيـدون ويناضـلون مـن أجـل كسـب رزقهـم حـلالاً. مـرت سـاعات وكـان يتجـول في السـوق ذهـب إلـي والدتـه ماما عائشـة في مكـان عملـها وطلـب منهـا أن تعطيـه نقـود حتـى يشـتري لـه أدوات الـورنيش. حـتي يعمـل في السـوق لمسـاعدة والدتـه، ويـوفر لهـم القليـل مـن النقـود ويـوفر لأختـه مريومـة الـزى المدرسـي ورسـوم الدراسـة لحـتي تواصـل مسيرتها الدراسية وتكمل مرحلة تعليمها.

فوصـل أحمـد الـي مكـان العمـل ! " وجـد أمـه وأختـه شـغالين في العمـل مـنهم مـن يبيـع ومـنهم مـن يعمـل في سـل الطعميـة، والعـرق سايل من جبينهما والتعب أرهقهما".

- السلام عليكم ورحمة الله تعالي و بركاته.

ماما عائشة ومريومة:

- " وعليكم السلام ورحمة الله ".

- كيف مع العمل وكيف الشغل معكم ؟

ماما عائشة:

- " الحمد لله ماشي الحال ". " وشنوا اليوم أتت إلى السوق إن شاء الله خير يا أحمد ".
- " أتت من أجل إيجاد العمل ".
- وما هو العمل يا إبني أحمد؟
- " العمل يايمة! من اليوم وراح بكون صاحب الورنيش يا ماما!!! ". لذا أتت هنا لكم من أجل هذا العمل ومحتاج لي نقود 50 جنيهاً.

ماما عائشة:

- " والله يا أبني لا أمتلك إلا مصروف اليوم يابني لم أتحصل علي المزيد ".
- " ولا يهمك يا ماما ! سأدبر حالي... ".
- " مع السلامة يا ماما ومريومة وربنا يفتحها لكم في الدنيا والأخرة".
- " أمين يارب ... الله معاك ".
- " الله مع الجميع ".

وعنـــدما ذاهـــب أحمـــد في الســـوق رأي أحـــد زملائـــه.وكان حامـــل صندوق الورنيش علي ظهره فعرفه أحمد أنه صاحبه محمد.

فنادي أحمد:

- " يا... يا... محمد ".

" فسمع محمد وتوقف ".

- " أووو محمد! دفعة أخبارك وصحتك ؟ ".
- " تمام الحمد لله ".
- " كيف مع العمل؟ وكيف المدرسة معاك؟ ".

محمد:

- " ماشي الحال ".
- " كيف حاجة عائشة ومريومة ؟ ".
- " كلـهم بخـير الحمـد لله ". " محمـد عـايز منـك طلـب صـغير جداً... أن تساعدنني؟ ".

محمد:

- " بساعدك إن شاء الله! تفضل ".
- " محتـاج لـي 50 جنيهـاً لكـي أوفـر لـي أدوات الـورنيش كلـها حتـى أسـتطيع أن أبـدأ العمـل لان حالـة الوضـع في المنـزل

صعبة جداً بهذا السبب أنا ومريومة لم نذهب إلي المدرسة ".

محمد:

- " كلامك جميل جداً أنا الآن لم أمتلك هذا المبلغ، لكن ممكن نذهب لزبوني يعطينا كل مستلزمات الورنيش وبعد ما تجد المال تسدد له هذا المبلغ ".

" فرح أحمد وأنبسط انبساطاً شديداً من محمد ". فتوجها أحمد ومحمد إلي صاحب البقالة عموا مصطفي.

محمد:

- " السلام عليكم يا عموا مصطفي ".
- " وعليكم السلام ورحمة الله ". " تفضلوا يا أبنائي ".

محمد:

- " والله يا عموا محتاجين ونحن أمس الحاجة إليك وطالبين منك أن تساعدنا ".

عموا مصطفي:

- " أنا في خدمتكم يا أبنائي...

- تفضلوا!!!".

محمد:

- " هـذا صـديقي أحمـد وحـالتهم بطالـة جـداً في المنـزل وطلـب أن يشـتغل حتـى يسـاعد نـاس البيـت بالقليـل وطلـب منـك أن تعطيـه صـندوق الـورنيش وكـل أدوات الـورنيش لكـي يعمـل وسـوف يسـدد لـك هـذا المبلـغ 50 جنيهاً ".

عموا مصطفي:

- " انـا في خـدمتكم وخدمـة أي إنسـان محتـاج ، تفضـل يـا أبـني احمـد، هـذه كـل الالتزمـات بتجـدها في داخـل هـذا الصندوق فتفضل يإبني ".

أحمد:

- " شـكراً يـا عمـوا مصـطفي جـزاك الله الـف خـير. وان شـاء الله سـأبذل كـل قصـارة جهـدي في الأيـام القليلـة لحـتي أسدد لك هذا المبلغ ".

عموا مصطفي:

- " ربنا يوفقكم يا أبنائي ".

أحمد ومحمد:

- " اللـــهم أمـــين يـــأرب... وربنـــا يوفقـــك يـــاعموا مصطفي في عملك ويبارك الله لك في عملك ".

عموا مصطفي:

- " أمين يارب العالمين ".

أحمد ومحمد :

- " راح نذهب ".

عموا مصطفي:

- " تفضلوا الله معكم ".

أحمد ومحمد:

- " الله مع الجميع ".

فتجـول أحمـد ومحمـد في السـوق وقـام محمـد لوصـف أحمـد جميـع الأمـاكن والمحـلات في السـوق وعرفـوا الكـثير مـن الأمـاكن التجاريـة والكافتيريـات والمطـاعم والمقـاهي والمحطـات وأمـاكن تجمعـات الأطفـال المشـردين وأطفـال الشـوارع وكـل أمـاكن التعابـة الغلابـة والمهمشين.

- شـكراً جـزيلاً يـا محمـد علـي هـذا الواجـب الكـبير وكـل الشكر والتقدير بهـذا المعـروف الـذي قدمتـه لـي... شـكراً

جزيلاً يا محمد فأنا مدين لك بحياتي كلها فشاكر ومقدر لك دوماً فدوماً سأظل فخور بك شكراً جزيلاً يا محمد.

محمد:

- " عادي يا أحمد. .. فهذا من واجبي ".

الزمن روح والوقت ذهب وإنهمرت الشمس فأصبح شفق الشمس محمراً.

أحمد:

- " سوف أذهب إلي المنزل الأن ".

محمد:

- " تفضل الله معك ".

أحمد:

- " الله مع الجميع سوف سنلتقي غداً في العمل ".

مع السلامة ، إنتبه لحالك وخلي بالك من روحك كتير!!!!".

فرجع أحمد مسرور وسعيد كل السعادة من صديقة محمد وصاحب البقالة الكريم عموا مصطفي الذي أعطاه كل مستلزمات وأدوات الورنيش الذي تتكون من صندوق خشبي وبداخلة مجموعة من الأدوات (دهان ألوان أحمر، وأسود، وأبيض، وجرس تقليدي).

فأنبسط وفرح أحمد فرحاً شديداً وفي تمام الساعة الثامنة مساءً رجع أحمد إلي البيت فوجد ماما عائشة وأخته مريومة في انتظاره للعشاء.

- " السلام عليكم ورحمة الله ".

ماما عائشة ومريومة:

- " وعليكم السلام ورحمه الله ".

ماما عائشة:

- " أين تأخرت يا أبني أحمد ".
- " تأخرت في السوق ولدي بعد الأغراض أخذتها من السوق ولذلك تأخرت".

فسألته ماما عائشة:

- " ما هي الأغراض التي تأخرت من أجلها لهذا الزمن ".
- تأخرت من أجل أدوات الورنيش وباقي الأدوات لأني من يوم غداً سوف ابدأ العمل لكي أوفر رسوم المدرسة لي ولأختي والزى المدرسي وبعد ملتزمات المنزل ".

ماما عائشة ومريومة:

- " فضحكوا هههه هههههه ". "يا أحمد أنت صغير والمسؤولية كبيرة منك ، لذلك لا تُتعب حالك سأبذل كل جهدي سأوفر لكم كل المستلزمات المدرسية وكل شئ سوف أوفروا لكم.

فصمت أحمد قليلاً فرد لهم قائلاً:

- " أنا سأبذل كل جهدي لكي ترتاحي ياماما لأنك يا ماما زمنك كلوا شغالة في السوق حتى الليل ، شغالة عشان توفري لنا بعد الوجبات ولذلك يا ماما أنا بكفل بكل التزامات المدرسة لي

ولمريومة ومن يوم غدا أنا سوف ابدأ العمل ".

فردت ماما عائشة قائلة:

- " طيب ! حاضر يا ابني!!!".

أحمد:

فضحك أحمد وانبسط من والدته فعانقها وفرح فرحاً شديداً بموافقة والدته.

فقال أحمد:

- " شكراً ياماما . شكراً جزيلاً لكي يايمه الله يفتحها لكي في الدنيا والآخرة ".

فردت ماما عائشة:

- " اللهم أمين يا رب العالمين ".

جهزت مريومة العشاء وأحضرت العشاء... فقالت:

- ماما وأحمد العشاء صار جاهز...

ماما عائشة:

- " أحمد ومريومة يلا نتعشى لكي تناموا حتى تصحوا بكرة مبكراً ".
- " حاضر ياماما ".

فتعشوا كلهم مع بعض فشبع أحمد وتبقي ماما عائشة مريومة. فقال لهما أحمد:

- " تصبحوا علي ألف خير ".
- " وأنت من أهل الخير ".

ذهب أحمد إلي غرفة النوم ففرش البرش من الزعف وتوكل علي الله. أما مريومة " فلملمت كل الأواني المتسخة فبدأت في غسيل العدة ومن ثم رتبب المنزل ".

ماما عائشة ذهبت إلي المطبخ لتحضير وتخمير الطعمية وتحضير الفول المدمس ليوم غداً.

مريومة:

- " أنا خلصت يا ماما ، تصبحي علي ألف خير".
- " وأنتي من أهل الخير يابنتي ".

تبقت ماما عائشة في ترتيب المنزل ونظافة المنزل وكنس الغرفة والفضاء ثم أحضرت كل شيء خمرت عجين الطعمية، وملحت الفول وكل شئ أصبح جاهزاً فضل العمل والسل للصُبح وبعد حتى تذهب بهم في الصباح الباكر إلى السوق لكي تساوق وتأتي بالأشياء البسيطة اللازمة للمنزل وهذا الجهد كله من أجل أبنائها الصغار فرفعت ماما عائشة كل شيء ونظفت المنزل . فجاءها النعاس وتركت كل شيء من يدها وذهبت إلي غرفة النوم فوجدت أطفالها نيام ففرشت بجانبهما فنامت الوالدة مع أطفالها . مرت ساعات ورن منبه الساعة الرابعة صباحاً فقامت ماما عائشة فتوضأت وصلت ركعتين لله سبحانه وتعالي، ومن ثم اتجهت إلي المطبخ ، أشعلت النار وضعت صاج الطعمية في النار فبدأت العمل في سل الطعمية حتى صلاه الفجر، فتركت الأشياء فتوجه

إلـي الله سـبحانه وتعـالي ومـن ثـم صـلت صـلاه الصـبح ورجعـت واصلت في عملها فانتهت من عمل سل الطعمية.

فبدأت في قلي الفـول المـدمس حتـى أصـبح الصـباح، فصـحت أولادهـا من النوم وجهزت لهم شاي الصباح.

فقام أحمد:

- " ماما صباح الخير ، كيف أصبحتي؟ " .

ماما عائشة:

- " صباح النور ، الحمد لله ".
- " ما شاء الله اليوم خلصت بدري؟ ".

ماما عائشة:

- " أي ، لأنـي قمـت مـن السـاعة الرابعـة صـباحاً العمـل كان كثير خالص ".
- " الحمد لله من خلصتي ".

مريومة:

- " صباح الخير ماما وأحمد ".

ماما عائشة وأحمد:

- " صباح النور ".

- " ماما آسفة لأني نمت ما قدرت . ما قمت لكي أساعدك ".
- " عادي ياإبنتي ، أنتي لسي طفلة صغيرة يا مريومة اتركي العمل لي ".
- الشاي صار جاهز يلا أحمد ومريومة الشاي صار جاهز".

مريومة وأحمد:

- " حاضر ياماما ".

كلهم شربوا الشاي مع بعض مريومة " قامت تنظيف المنزل ورتبت المنزل بأكمله ". ولمت وغسلت كل الأواني المتسخة وكنست المطبخ وغرفة النوم وأصبح كل شئ نظيف وأصبح المنزل مرتب ". لملمت كل الأغراض والعدة تباع السوق ".

ماما عائشة:

- " مريومة كل شئ جاهز ".
- " نعم ، كل شئ جاهز ".

ماما عائشة:

- " أحمد ".
- " نعم ، نعم يا ماما ".

- " أنا ومريومة ذاهبين إلي السوق ".

أحمد:

- " الله معاكم أنا ذاتي بعض قليل ذاهب إلي العمل ذاهب السوق ". ربنا يفتح يا ماما ".

ماما عائشة:

- " اللهم أمين يارب ".

مريومة:

- " مع السلامة يا أحمد خلي بالك من روحك كثير وخلي بالك من نفسك كثير ".
- " حاضر يا أختي ". أنتي كمان انتبهي لنفسك وخلي بالك من ماما كمان الله معاكم ".
- " حاضر يا أخي ". الله مع الجميع. يلا خاطرك ".

بدأ أحمد عمله وبدأ ينتقل بين أحذية المارة والجالسين أمام متاجرهم في شوارع السوق وهو يردد عبارة !

- " ورنش!! ورنش!! ورنش!! ".

عارضاً خدمته في تلميع الأحذية مقابل القليل من المال لكي ينفقه علي أسرته الفقيرة حتى لا يضطروا إلي التسول . وحقيبته تحمل بداخلها أدوات مسح الأحذية من دهان ألوان (أحمر ، أسود ، أبيض) ولماع الأحذية وجرس تقليدي . وعندما يخلع له أي شخص حذاءه لتلميعه يخرج من حقيبته حذاء ليعطيه إلى حين الفراغ من حذائه ويفترش أحمد الأرض واضعاً قطعة من القماش علي رجليه ويبدأ في عملية التلميع مقابل 2 جنيهه (يعادل بضع سنتا دولار أقل من ربع دولار). وكان أحمد يتجول في مساحات واسعة لكسب الزبائن وكسب أحمد زبائن كثيرة جداً وكان الزبائن يتعاملون مع أحمد باحترام وتقدير ويعطفون عليه وبعضهم يمنحون له أكثر من حقه.

أحمد يخاطب نفسه:

- " العمل في المهن الهامشية هو سبيلنا نحن معشر الفقراء الذين حرمنا من التعليم أنا حريص جدا علي الكسب الحلال وتعليم شقيقتي حتى يعيشوا في سلام وأمان حتى لا يواجهوا نفس مصيري ".

ظل أحمد مع والدته يصارعون ويكابدون في كسب لقمة عيشهم من عرق جبينهم، فقد أحمد والده وهو صغير السن وفراق والده

لـه أثـر كـبير في هـذه الحيـاة ولـذلك تـولي المسـؤولية مسـؤولية نفسـه وأسـرته . فتحصـل أحمـد في نهايـة اليـوم الأول علـي مبلـغ قـدره 50 جنيهـاً أي مـا يعـادل (4 دولار أمريكـي)، ومـن هـذه الحصـيلة أعطـي منهـا 30 جنيهـاً لوالدتـه حتـى تتكفـل بمصـروفات المنـزل، وأعطـي عمـوا مصـطفي صـاحب البقالـة 20 جنيهـاً والمتبقـي فيمـا بعـد . " كون أحمد علاقة حميمـة مـع بعـض زملائـه في مهنـة الـورنيش مـع أبنـاء النـازحين والمشـردين الـذين يبحثـون عـن لقمـة عيشـهم بعـرق جبينـهم ويلتقـون يوميـاً في مواقـف الموصـلات لتبـادل التحيـا وتفقـد أحوال بعضـهم الـبعض ومـن ثـم ينطلقـون للعمـل داخـل السـوق في شـكل مجموعـات، وذلـك نسـبتاً لظـروف الحيـاة الـتي دفعـت بهـم للعمـل بهـذه المهـن وهـم سـن أحـوج مـا يكونـوا فيهـا لتلقـي العلـم والمعرفـة بالمـدارس بـدلاً عـن التسـلل في الشـوارع وبيـع الـورنيش للحصول علي لقمة العيش".

وفي اليـوم التـالي أيضـاً تحصـل أحمـد علـي مبلـغ مناسـب فسـدد بـاقي المـال لصـاحب البقالـة عمـوا مصـطفي . " فشـكر أحمـد عمـوا مصطفي كثير الشكر لهذا المعروفة الذي فعله له ".

عموا مصطفي:

- " عفواً وشكراً أيضاً لك علي رجوع الأمانة ".

أحمد:

- " شكراً عموا مصطفي ".

وفي نهاية اليوم التالي التقاء أحمد مع صديقه محمد ورفاقه وآخرون في السوق فقرر أحمد لم يذهب اليوم إلي المنزل فقرر أن يقضي هذه الليلة مع رفاقه لكي يتقاسم ويشاركهم في الهم. كان يجعلون الكباري بيوتاً لهم، والسوق مأوي لهم، ويفترشون الأرض بحثاً عن لقمة عيشهم . بعضهم من أفترش بعض الطاولات علي الرصيف، أحمد ومحمد ورفاقهم افترشوا الكراتين تحت الكبرى، وكان موسي يتوسد علي ساق أحمد في وضع النوم الذي يبلغ من العمر ثمانية سنوات ، ويتوسد قدم محمد أصغرهم سناً الذي لم يتم السبع سنوات.

*****

أغنية:

أنا إنسان

وبحلم أني أعيش في أمان

وأمتي يا دنيتي أمتي

تحنى في ليلة علي الغليان؟

وأمتي يكون لنا فيكي

صدر حنون؟

لكن بحلم وكل منايا

أعيش إنسان

أعيش إنسان

*****

يرفع أحمد رأسه فجأة وهو في حالة غضب!!

أحمد:

- " متين يا دنيا تحني علينا في يوم ؟ ومتين ننام وأشبع نوم ومتين يا دنيا نتعلم؟ ومتين يا دنيا يكون لنا حاضر؟ ".

محمد:

- " ذنبي أن أبوي يموت،، وأمي بعده تتألم، وتملأ الحياة أوجاع ، وتبكي علي الولد لو جاع ، فتتجوز ، عشان اللقمة تلقاها فيضربني!".

موسي:

- " أنا الغلطان لأني هربت من المنزل، لكنه كان بلا رحمة، أعيش في الحسرة بنستألم، علي بيتي وعلي أمي وعلي نفسي".

- أنا المتشرد علي أرصفة وطني ... أنا الصبي الذي فقد كل شيء في الحياة ... أنا طفل الشوارع بلغتكم ... فاقد كل الحقوق بلغتي ... أنا الذي ترمونه بنظرات استحقار فقط لأني ملابسي البالية لا تشبه ملابسكم النظيفة ... أو ربما رائحة جسدي نتنه لأنه لن أستحم إلا بأمطار الشتاء القارصة ... أنا الصغير الذي حلمت يوماً كأي طفل لأستيقظ علي واقع الحقوق التي فقدتها في غمضة عين أنا المتشرد الذي لم يختر التشرد يومياً ... بل الحياة اختارتها لي ... لأنها لست عادلة ... رمتني بتلك الشوارع التي لا ترحم ... أنا الذي تعرضت للاتهامات والاستحقار والضرب منكم ... فقط لأني لست مثلكم ... بربكم هل تشردي يؤذيكم بشيء ... بربكم ألا رحمة في قلوبكم وأنتم مسلمون ديناً، ألا تعلمون كم هو مُوحش حتى تكون بلا بيت يؤذيك في و طن لا يرحم رحمك الله يا والدي لو كنت هنا لما تشردت يوماً ... حتى لو نمت في الشارع عارياً، كنت ستكون البيت الذي يحميني ... لان أبناء وطني يا أبي لا يرحمون ... لا يرحمون ...

أحمد:

- " كرهت العيشة من يأسي، بقيت عايش في ليلة بحشد اللقمة، يا دنيا لينا خناقة ".

محمد:

- " وأصل الناس ما فايقة، وأصل الناس ما راقية تحن في ليلة علي الناس، كثيرة نبصلها بصلة، ونتأزم، ونبتسم ".

موسي:

- " عرفت كثير وصاحبوني كثير أولاد، حالتهم برضوا من حالي، نومتنا أصلها الشارع، ناس ذاهبة، وناس راحة، وناس وافقه وبتأمين ".

أحمد:

- " فقدت يا دنيا إحساسي، بقيت إنسان بلا إحساس، بلا مبدأ، فوجدت كل الناس أعداء، وكل الدنيا أعدائي ".

يجلس الجميع أرضاً فوق الرصيف وقد أنهكهم التعب.

محمد:

- " أنا جعت، أنا ها أموت من الجوع، لا أحد يرد عليه؟ وبعدين ما قادر أتحمل ".

موسي:

- " أصبر يا محمد، في ناس بتآكل، وقربوا يخلصوا أكل، أجهز أنت وأول أديك إشارة، أهجم بسرعة ". يا محمد الراجل قام يغسل في يده هو وعياله، أذهب بسرعة ، يركض محمد وموسي علي الطاولة.

محمد:

- " افتح الكيس بسرعة يا موسي، أفرغ محمد كل ما تحمله الأطباق من بقايا الطعام ".

وصار يجريان بسرعة حتى لا يدركهما أحد، في طريقهما إلي باب المسجد الخلفي.

- أما أحمد، فقد اختصر دورته علي مراقبة المشهد من بعيد ذهب أحمد واثقاً من خطواته.

وبعد فترة قصيرة، أجتمع الثلاثة، وتناولا ما أحضروه من بقايا الطعام، أسفل الكوبري الذي اتخذوه مأوي لهم. ألقي الثلاثة بأظهرهم علي الأرض، وراحوا في ثبات عميق، فقد شبعوا بعد أن كادوا يقتلون جوعاً.

استيقظ كل الأصدقاء بعد فترة وقد أتي عليهم الصباح، وذهب الجميع للعمل. مر أسبوع والأطفال نيام، أسفل الكوبري، يأتي من قريب صوت بكاء.

أحمد:

- " أنتم سامعين الصوت دة ".

محمد:

- " دة صوت طفل صغير جداً ".

أحمد:

- " الصوت قريب جداً ".

ينهض الأطفال بحثاً عن مصدر الصوت.

أحمد:

- " يا للهول ، في حدا يعمل كده ؟".

محمد:

- " دة ذنبه أي يرتمي الرمية دي ".

أحمد:

- " ربنا يخرب بيوتكم، ربنا ينتقم منكم، تخلفوهم، وترموهم في الشوارع ".

موسي:

- " أيه العمل في المصيبة دي؟".

محمد:

- " الولد يصرخ شكله ميت من الجوع ". نعمل أي؟ لو تركنه يموت من الجوع.

أحمد:

- " مين فيكم معاه قروش؟ ".

موسي:

- " أنا معي 10 جنيهات ".

محمد:

- " وأنا معي 20 جنيهات ".

أحمد:

- " يخلع أحمد الجلابية ويغطي الطفل الذي سكت بعد أنهكه البكاء ثم يخرج من جيبه 10 جنيهات ويجمع من موسي ومحمد من القروش ".
- خذ يا موسي النقود دي ، واشتري كباية حليب ، وباكو بسكويت وماء معدنية ...

محمد:

- " تعمل إي يا أحمد ؟؟".

أحمد:

- " سنقيه الماء، ونأكله البسكويت باللبن ".

موسي:

- " نحتاج ملعقة ".

أحمد:

- " هات يا موسي، يفتح البسكويت

ويفرقه في كوب الحليب ويتركه حتى يذوب ". يحمل محمد الطفل بين يديه، وأحمد يطعم الطفل، ثم يفتح كريستال الماء، ويضع القليل منها في الغطاء ، ويسقي الطفل ، فشبع الطفل واستسلم للنوم. هجر النوم أعين الأصدقاء ، يفكرون جميعاً ماذا سيكون مصير هذا الطفل؟ وكيف لهم أن يتركوه؟ وكيف يهتموا به ويحافظوا عليه؟ في الصباح يذهب أحمد ومحمد إلي بقالة عموا مصطفي بعد أن اتفقوا أن يبقي واحد منهم مع الطفل كل يوم لرعايته والحفاظ عليه.

أحمد:

- " صباح الخير ياعموا مصطفي ".

عموا مصطفي:

- " أهلا يا أحمد، ومحمد...

- أين موسي؟ ".

أحمد:

- " موسي اليوم تعبان شوية ".

عموا مصطفي:

- " أنتم اليوم مالكم كسلانين كده؟

- أنتم ساهرتوا وين؟".

أحمد:

- " نحنا أمس ما نمنا الليل كله صاحيين ".

عموا مصطفي:

- " ليه!!!".

أحمد:

- " نحنُ أمس لمن نمنا، سمعنا صوت طفل يبكي، تحت الكوبري، أهله رموه، ونحنا سهرنا عليه، نأكله ونشربه، وما قدرنا ننام ".

عموا مصطفي:

- " لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ أنت بتقول شنوا!! ".

محمد:

- " دة الحاصل ونحنا قلنا لموسي يخلي باله علي الطفل ".

عموا مصطفي:

- " أذهبوا لموسي وجيبوا الطفل معاه، حسبي الله ونعم الوكيل ".

محمد وموسي والطفل تحت الكوبري.

عموا مصطفي:

- " وبعدين يا أولاد أي المصيبة دي؟ الطفل لازم نأخذه إلي الملجأ؟".

أحمد:

- " يعني مصيره يبقي زى مصيرنا، ويكبر ويهرب من الملجأ؟

عموا مصطفي:

- " ما في حل أخر ودي مسؤولية يا أحمد ".

أحمد:

- " يعني تذهب به إلي الملجأ يعني يا عموا مصطفي؟ ".

عموا مصطفي:

- " هوديه لزوجتي تأكله، وتشربه، وتغير له، وبعدين هوديه للملجأ خلوا بالكم سوف أرجع بسرعة ".

عموا مصطفي بالمنزل ومعه الطفل.

أم كلثوم:

- " ده مين يا مصطفي؟ أبن مين الولد دة؟ ".

عموا مصطفي:

- " معلـــيش دة أطفـــال لقـــيط، الأطفـــال وجـــدوه تحـــت الكوبري
- " ولي جاي بيه هنا؟ ".
- " بس يا أم كلثـوم نظفيـه، وأكليـه، وشـربيه، ولبسـيه، أنـا أخذوا إلي الملجأ، عشان خاطر ربنا سبحانه وتعالي ".
- " ربنـا يسـامحك يـا مصـطفي أنـت تجيـب المصـائب مـن وين؟ ".
- " معلـيش يـا أم كلثـوم، والله هوديـه، بـس أكليـه وشـربيه ولبسيه، عشان أوديه نظيف ".

أم كلثوم: " تنزع ملابس الطفل،

- يا مصطفي دة ما ولد دي بنت!!! ".

عموا مصطفي:

- " يا للهول أعمل أي؟ ".
- " دي بنت غمض عينك يا مصطفي ".
- " هههههههه ، لا حول الله!!! ".
- " ما شـاء الله علـي هـذا الجمـال أنظـر تضـحك كيـف يـا مصطفي ".
- " ربنا ينتقم من أهلها ".

- مصطفى ، خلاص أكلتها ونظفتها وشربتها ".
- " هاتي خلاص أوديها إلي الملجأ ".

عموا مصطفي ودها إلي الملجأ، وذهب الى البقالة مع الأولاد.

أحمد:

- " خير يا عموا مصطفي!!!".

محمد:

- " وديته الملجأ يا عموا مصطفي؟ ".

موسي:

- " طمينا يا عموا مصطفي!!! ".

عموا مصطفي:

- " الولد طلع بنت، وديتها إلي الملجأ ".

الأولاد ربنا يبارك فيك يا عموا مصطفي.

عموا مصطفي:

- " حقكـــم علـــي، لكـــن و الله أنـــتم رجـــال حقيقـــيين، وعندكم ضمير ".

أحمد:

- " نحنا آسفين يا عموا مصطفي، نحنا تركنا ليك كل المشاكل في رأسك، وربنا يجازيك الخير كله يا عموا مصطفي ".

عموا مصطفي:

- " من اليوم راح أمسككم شغل البقالة كلكم الثلاثة تشتغلوا في البقالة مع بعض.

الأولاد جميعاً:

- " حاضر يا عموا مصطفي ". شكراً لك يا عموا علي هذا العمل الرائع.

بعد انقضاء شهر كامل، عموا مصطفي مع الأولاد في البقالة.

عموا مصطفي:

- " تعالوا يا أولاد لكي نتحاسب ". هات يا أحمد دفتر الحساب.

أحمد:

- " حاضر يا عموا مصطفي".

" جـرد الحسـاب ووجـد الأربـاح في زيـادة ففـرح عمـوا مصـطفي مـن الأولاد يبقي حسابك يا أحمد 500 جنيهات.

أحمد:

- " أنا عملت القروش دي كلها ؟ ما صحيح؟ ".

عموا مصطفي:

- " أنـت تعبـت، وده حقـك، ولـو تعبـت أكثـر مكسـبك أكثر، ومكسبك حلال ".

أحمد:

- " أنـا كـان أكـبر حاجـة حلمـت بهـا، أنـي أمسـك 100 جنيهات، لكن 500 جنيهات الحمد لله ".

حساب محمد 400 جنيهات، وحساب موسي 400 جنيهات.

عموا مصطفي:

- " مبروك عليكم يا أولادي ".

الأولاد جميعاً:

- " ربنا يبارك فيك يا عموا مصطفي ".

عموا مصطفي:

- " يـلا، شـوفوا مصـلحتكم، والعـايز يعمـل شـئ يعملها، واليوم راح كلنا نتعش مع بعض ".

الأولاد جميعاً:

- " حاضر يا عموا مصطفي ". والسلام عليك يا عموا مصطفي.

عموا مصطفي:

- " مع ألف سلامة ".

وفي الليل حضروا الجميع، عند بقالة عموا مصطفي.

الأولاد جميعاً:

- " السلام عليك يا عموا مصطفي ".

عموا مصطفي:

- " وعليكم السلام، أنا منتظركم من زمان؟ ".

تناولوا الجميع العشاء مع عموا مصطفي وكان اليوم مميز جدا لهم. استمتعوا جداً بهذه الليلة وفرحوا من عموا مصطفي بهذا العمل الجميل القدم لهم من كرم وضيافة وعشاء.

شعر :

مـــــين مننـــــا في حياتـــــه عـــــاش

مـــــــن غـــــــير خطيـــــــة ...

مـــــين مننـــــا تلقـــــاه بـــــرئ

في الـــــــــــــــــــــدنيا دي ... ؟

مـــــين مننـــــا مـــــا بغـــــش

ولا مـــــــــــر بالقضـــــــــــية..

مـــــــين مننـــــــا الجـــــــلاد

مـــــــين فينـــــــا الضـــــــحية..

أنـــــا طفـــــل لكـــــن في الحيـــــاة

عمـــــــــــري كـــــــــــبير ...

وقلـــــــــبي كهـــــــــل رغـــــــــم أن

شـــــــــكلي يبـــــــــان صـــــــــغير..

مـــــــع أن في كتـــــــاب الـــــــوطن

أبـــــن الغفـــــير لـــــه نفـــــس حـــــق

ابـــــــــــــن الـــــــــــــوزير ....

وصـــــــــفونا قـــــــــالوا أننـــــــــا

أطفـــــــــــــال شـــــــــــــوارع...

ولا حـــــــــد حســـــــــي بهمنـــــــــا

ولا حـــــــــــــد ســـــــــــــامع ....

خلـــــــــوا الشـــــــــوارع أمنـــــــــا

حضـــــــن الكبـــــــاري يضـــــــمنا

نحكيهـــــا دائمـــــاً علـــــي المآســـــي

وعـــــــــــــاد المواجـــــــــــــع...

كـــــل الصـــــراع اللـــــي أنتـــــوا فيـــــه

مـــــــــــــا بهمنـــــــــــــا .....

أنـــــا بـــــس خـــــوفي أن الأمـــــل

مـــــــــــــا ينفقـــــــــــــد ....

مـــــــع أن مطلـــــــبي في الحيـــــــاة

أنـــــــــــــي أعـــــــــــــيش .....

أنـــــــــــــي أعـــــــــــــيش..

أنـــــــــــــي أعـــــــــــــيش.

مر شهرين وأحمد خارج المنزل يكابد من أجل الحصول علي مبلغ مناسب حتى يسدد الرسوم لأخته مريومة ويشتري لها الزى المدرسي.

بعد مرور أسبوعين من هذا الشهر قرر أحمد أن يذهب إلي المنزل حتى يتفقد ويسلم علي أمه وأخته فوصل أحمد إلي البيت.

- السلام عليكم ورحمة الله.

ماما عائشة ومريومة:

- " وعليكم السلام ". كيف حالك يا أبني أحمد والله ليك الوحشة، أوحشتني شديد يا أحمد!.

أحمد:

- " إن شاء الله ما توحشي يا يمه ".

ماما عائشة:

- " إن شاء الله ... العمل كيف ماشي معاك؟".

أحمد:

- " الحمد لله العمل تمام التمام ". من عمل الورنيش الحمد لله بقيت تاجر في بقالة عموا مصطفي.

مريومة:

- " والله ما شاء الله ربنا يوفقك ".

أحمد :

- " أمين يا رب ". من يوم غداً سوف تذهبي إلي المدرسة يا مريومة حتى تكملي مسيرتك التعليمة.

مريومة:

- " ففرحت فرحاً شديداً ، حاضر يا أحمد ".

لكن ما دفعت لي رسوم المدرسة، ولا جابوا لي الزى المدرسي ، فكيف أذهب هكذا؟

أحمد:

- " ولا يهمك إن شاء الله بكرة نعطي أمك النقود راح تشتري لكي الزى المدرسي وتدفع لكي الرسوم كلها بس عليك القراءة فقط ".

مريومة:

- " حاضر يا أحمد، وشكراً ليك كثير، الله يخليك". وأنت ما بترجع المدرسة؟

أحمد:

- " لا .. أنا خلاص تركت المدرسة لكن بهتم بالمنزل وبهتم بماما وبهتم بكي انتي وبس ".

مريومة:

- " لا ... لا كده ما يصير".

أحمد:

- " كدة أحسن لان لو ذهبت إلي المدرسة يكون ما في عمل ونخسر العمل وانتي تخسري المدرسة والعمل ثقيل لماما وحدها ولذلك حريص علي العمل فقط حتى لا أفقد عملي ".

ماما عائشة:

- " شكراً يا ابني علي هذا الانجاز التاريخي ".

أحمد:

- " عفواً، هذا من واجبي تجاهكم يا يمه ".

ماما عائشة:

- " وأين اختفيت كده ليك زمن طويل ما أتيت إلينا ولا ظهرت لنا؟ ".

أحمد:

- " والله يـا ماما مـع العمـل بـس ولقيـت عمـوا مصـطفي رجـل طيـب ورجـل إنسـاني بعامـل النـاس معاملـة طيبـة، وهو الذي شغلني في البقالة ".

ماما عائشة:

- " والله ما شاء الله ربنا يزيده ألف خير ".

أحمد:

- " اللهم أمين يا رب ".

مريومة:

- " ماما وأحمد العشاء صار جاهز ".

ماما عائشة وأحمد:

- " حاضر".

تعشوا كلهم مع بعض.

ماما عائشة:

- " يلا النـوم يـا أبنـائي لانـوا عشـان بكـرة تصـحوا بـدري، مريومة عندك المدرسـة، وأحمـد عنـدك العمـل، يـلا تصـبحوا علي خير".

أحمد ومريومة:

- " وأنت من أهل الخير ".

ماما عائشة ظلت تغسل في الأواني ورتبت المنزل، ولمت كل شئ، وغمرت عجين الطعمية، ونظفت الفول، وجهزت كل شئ للصباح الباكر. أصبح الصباح وماما عائشة عملت كل شئ وأصبح الشاي جاهز وقومت أبنائها يلا قوموا أغسلوا بسرعة لان الزمن ذهب كثيراً.

أحمد ومريومة:

- " حاضر يا ماما ".

شربوا الشاي كلهم مع بعض.

مريومة:

- " رتبت كل شئ لأمها وأصبح كل شئ جاهز ".

وذهبت إلي المدرسة.

ماما عائشة " ذهبت إلي السوق أحمد ذهب إلي السوق أيضاً

بعد مرور خمسة سنوات كاملة .....

مرت خمسة سنين كبر أحمد وكبرت مريومة وأصبحت مريومة في الصف الثالث ثانوي وامتحنت مريومة امتحانات الشهادة السودانية نجحت وأحرزت نسبة عالية 85٪، ثم دخلت كلية

الطب طب الفاشر وصار دخل الأسرة دخل جيد جداً وتزايد الأرباح اليومية لماما عائشة وباب الفرج انفتح لهما وكل يوم النسبة بتزيد، وكذلك أحمد العمل دخل معه وأصبح مكلف بالمنزل وأخته، حتى اشتري لهم منزل في نيالا في حي السلام غرب وأصبح أحمد له رأس مال كبير وقرر أن يفتح له بقالة في المنزل وطلب من والدته أن ألا تشتغل في السوق ولكن ماما عائشة أتأقلمت مع السوق ما تقدر بتسيبه لأن لها جمهور كبير من الزبائن وأصبحت متواصلة في العمل وأصبح أمورهم أفضل حالة.

وتكفل أحمد بتوفير كل يوم وجبة إفطار لأولاد السوق فوافقت ماما عائشة بهذه الفكرة الجميلة وماما عائشة تعمل لإعداد فطور أولاد السوق يطلقون عليهم أولاد الشوارع وأحمد يذهب بالفطور ويوزعه للأولاد وكان عمل جميل جداً وبهذه الفكرة أمورهم صارت في نعمة تامة وكل يوم الأرباح متزايدة .

وبعد مرور خمسة سنوات تخرجت مريومة من جامعة الفاشر كلية الطب، حققت حلمها الذي كان حلماً والحلم اليوم صار حقيقة، وحققت هدفها، والفضل يرجع للوالدة ماما عائشة لجهدها وصبرها وتكافلها وعنايتها بالأولاد، حتى صاروا مسؤولين من

أنفسهم والفضل أيضاً يرجع للابن أحمد الذي ضحي من أجل تعليم أخته ومساعدة أمه ماما عائشة.

عانت الأسرة من الكثير لكن ربنا سبحانه وتعالي فرجها لهم، لأنهم صبروا الكثير من الصبر والمعانة والمشقة والتعب ولكن ربنا سبحانه وتعالي فرجها لهم .

قال تعالي: " فَإِنَّ مَعَ العُسْر يُسْراً && إِنَّ مَعَ العُسْر يُسْراً ".

عاشت ماما عائشة مع أبنائها في أمن وأمان.

تمت

نبذة

"أطفال يعيشون في الذل والقهر والمذلة والهون يبكون الحجر ولا يبكون البشر، واقعهم المرير والأليم يعزفونها علي أوتار الشجي والأحزان، والأطفال في سنهم يلعبون ويلتحقون بالمدارس، ويجدون الرعاية والاهتمام".

انتهت!!!!

أطفال الشوارع

محمد عبد الله عبد الله

السودان – دارفور

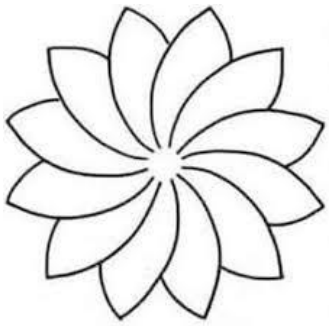

الخاتمة

ستبقي الطفولة في كل الأزمنة والأمكنة، هي القُبلة الأولي التي تتجه إليها كل الجهود التنموية، وستقاس حضارات الأمم علي أساس ما تخصصه للأطفال من وسائل التعليم والتثقيف، والأمة التي تتخلف عن هذا المضمار ستجد نفسها وحيدة في ذيل القائمة . وحكايات الجدات التي كانت بمثابة الإطلالة الأولي للأطفال إلي عالم المعرفة، هي التي غرست الكثير من القيم والأخلاقيات، والعادات والتقاليد في الأعماق البكر للأطفال في كل الأجيال المتعاقبة، من قديم الزمان وحتى منتصف القرن العشرين، وان كانت هذه الحكايات قد تراجعت كثيراً عن أداء دورها الحضاري بعد ظهور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وانصراف الكبار إلي اهتماماتهم المعيشية بعد نزول المرأة إلي ميادين العمل المختلفة، وانتشار ظاهرة المربيات، وكل هذه العوامل وغيرها، تشابكت وأدت إلي انكماش الحكايات المروية شفاهة . وفي كل الأحوال؛ فانه من الأهمية بمكان أن تقوم الأمم بتركيز جهودها واهتماماتها بالأطفال صحياً وبدنياً، وبنفس القدر الذي تنفعه علي صحته وجسمه، يجب الاهتمام بعقلة ووجدانه، من خلال كل السبل المتاحة وشفاهة أو كتابة، مع توجيه الإعلام لما فيه خير الطفل في

حاضره ومستقبله. والأمة التي لا تراعي صغارها ستصل إلي الشيخوخة مبكراً، ولن تجد من يقوم علي أمورها وشؤونها، حيث سيعقها الأبناء؛ لأنها عقمتهم من قبل، ولمن يريد أن يستشرف مستقبل أي امة فعليه فقط أن يمعن النظر إلي ما تقدمه هذه الأمة إلي أطفالها، ويستطيع من خلال ذلك- بكل ثقة - أن يقيمها لعقود قادمة. هكذا أجبرت الحياة علي أحمد علي العمل مساح الأحذية ما يطلقون عليه (الورنيش)، وعلم أخته حتى تخرجت، وأمه ماما عائشة امرأة من طراز خاص امرأة حديدية بمعني الكلمة، مات زوجها قبل 17 عاماً، وترك لها أبن أحمد وأبنه مريومة، وكان عمرها ألا يتجاوز 35 عاماً، ولا تمتلك شيئاً من حطام الدنيا، ولم تقف الحياة بالنسبة لها، وإنما تحلت بالصبر، رافضة بأن تمد يدها لغيرها بالرغم من حالتها التي كانت تعيشها، وسط هذه الظروف القاسية، فكرت أن تعتمد علي نفسها، وتحفر بأظافر صعبة في صخور صلبة، فتجاهلت النظرات القاسية من المجتمع، وقررت أن تزاحم النساء في هذه المهمة الصعبة بايعه الطعمية والفول المدمس في السوق.